الفكر الشرقي القديم: تعريفه، خصائصه.

تعد بلاد الشرق القديم مهد التفكير الإنساني، إلا نمط التفكير السائد في هذه المرحلة كان وفقا للأفق المعرفي لذلك الزمن. والاهتمام بالفكر في الحضارات الشرقية القديمة يمليه التطور العلمي والمعرفي ذاته، لأنه مع تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تسعى إلى الكشف عن تاريخ الانسانية وأنماط تفكيرها وسلوكها وعاداتها وتقاليدها وقيمها، استدعت الضرورة إلى الاهتمام بالحضارات القديمة وبأنماط تفكيرها. وعلينا نحن كدارسين لفكر هذه المرحلة أن نفهم هذا الفكر وفق أوفق المعرفي الخاص به، فإذا كان فكرهم في نظرنا وبسيطا وخرافيا وأسطوريا إلا أنه في نظرهم يمثل أرقى مستويات التفكير وبل يعبر عن حكمتهم وأسمى تجليات وعيهم. لهذا علينا ونحن ندرس هذا الفكر أن لا نطبق عليه معايير فكرنا الحديث والمعاصر وإنما ينبغي أن نفهمه وفق معاييرهم الفكرية والقيمية.

لم تكن المسائل الفكرية التي عالجها الشرق القديم مفارقة للحياة اليومية، بل كانت من صلب اهتماماتهم، و لم يكن فكرهم يشتغل في مسائل مجردة بل مرتبط بالتجربة الواقعية. كما أن المسائل التي عالجها الإنسان الشرقي القديم لم تكن بعيدة عن التساؤلات الفلسفية بل كانت من صميم البحث الفلسفي فقد حاولوا الاجابة عن سؤال ما الإنسان؟ وما مصيره؟ وما طبيعة الكون الذي يحيون فيه؟...إلخ. قد تختلف الاجابات المقدمة لهذا التساؤلات باختلاف الأزمنة والأمكنة ولكن تعبر بحق عن فضول الإنسان في اكتشاف المجهول، كما تعبر أيضا وعيه لذاته والعالم المحيط به. ومن خلال الاجابات التي قدمها الإنسان الشرقي القديم لهذه المسائل المطروحة في زمانه يمكننا أن نكون صورة حول نمط عيشه وطريقة تفكيره وأفقه المعرفي.

خصائص الفكر الشرقي القديم: يمكن أن نذكر بعض خصائص الفكر الشرقي القديم في النقاط الآتية:

1- يعد الفكر الشرقي القديم أقدم فكر انساني، وهو بذلك يمثل البدايات الأولى للفكر الانساني أو لنقل المغامرات الأولى للعقل البشري. وإذا اردنا تشبيه الفكر البشري بالمراحل التي يمر بها الإنسان فإنه الفكر الشرقي في هذه الحالة يمثل طفولة الفكر البشري.

2- الفكر الشرقي هو فكر أسطوري: لقد صاغ القدامى عدة أساطير لم يكن غرضها التسلية وإنما تفسير الطبيعة ومظاهرها. وتعد الأسطورة طريقة في التفكير ووسيلة لتفسير الظواهر الطبيعية التي يعتقد أن هناك قوى خفية تتحكم فيها، وبذلك فإن الأسطورة تمثل الطريقة الأولى التي وظفها الإنسان لبلوغ

حقيقة الطبيعة قبل أن نبلغها بأدوات معرفية أخرى أكثر تطورها وأكثر عقلانية. (أغلب الأساطير مرتبطة بالطبيعة وظواهرها).

3- الفكر الشرقي القديم فكر عملي أكثر منه نظري هذا لأنه لم يكن يميز بين الحياة العملية والتنظير الفكري، فكانت جل أفكاره متعلقة بالحياة الواقعية والاجتماعية. وهو فكر عملي وليس نظري هذا لأن التأمل النظري يسعى إلى تجريد الواقع وفهم قوانين اشتغاله وديناميكية سيرورته والفكر التجريدي بهذا المفهوم لم يتشكل بعد عند مفكري وحكماء الشرق القديم. ومما يدل أيضا على أنه فكر عملي هو أن حكمائه كان همهم تجسيد أفكارهم على الواقع بدل كتابتها وتدوينها، وكانوا مصلحين اجتماعيين أكثر من كونهم منظرين وفلاسفة.

4- فكر لا يميز بين الحقيقة والمظهر: فما يراه في منامه يعتقد أنه حقيقي فأحلامه وأوهامه يؤمن بوجودها كما يؤمن تماما بوجود الظواهر التي يراها.

5- فكر لا يميز بين الذاتي والموضوعي: لم يكن الإنسان الشرقي القديم يفصل بين الظواهر الطبيعية والخبرات والتجارب الانسانية، بل كان يعتقد أن الطبيعة تأثر على سلوكاته وحياته بشكل مباشر. فمثلا ظاهرة الشروق والغروب يفهمها الإنسان الحديث على أنها دوران الأرض حول نفسها كذلك نزول المطر أي يربطها بقوانين كونية، أما الإنسان الشرقي القديم فلم يكن يميز بين مظاهر الطبيعة ومجرى حياته الشخصية وبل كان يعتقد أنها تؤثر على حياته تأثيرا مباشرا. (ولكن مع عصر الحديث بدأ الإنسان يتخلى تدريجيا عن هذا النظام المعرفي التقليدي الذي يربط بين الطبيعة وسلوكات الإنسان وأخلاقه وبدأ يفهم الطبيعة ويفسرها وفق نموذج معرفي مختلف تماما ألا وهو العقلانية).

6- من خصائص الفكر الشرقي هو ميله إلى السيطرة على الذات، في حين نجد أن الفكر الغربي كان يهدف إلى السيطرة على الطبيعة. وهذا ما نجده جليا في الفكر الصيني والهندي.

هل الفلسفة شرقية أم غربية ؟.

هذه الاشكالية تحاول معالجة أصل الفلسفة هل هو شرقي أم غربي؟ وهل ما أنتجه الشرق يعد من صميم الفلسفة أم مجرد تصورات لا ترتقي إلى مستوى البناء الفكري النظري.